# توظيف روسيا الاتحادية لقطاع الطاقة في دعم دورها العالمي بعد عام ٢٠٠٠

أ.م.د سعد عبيد السعيدي

كلية العلوم السياسية/ جامعة بغداد

https://doi.org/10.61353/ma.0100145

تاريخ استلام البحث ٢٠٢٢/٧/٦ تاريخ قبول البحث ٢٠٢٢/٨/٣ تاريخ نشر البحث ٢٠٢٢/٩/٣٠

تُعد روسيا واحدة من بين أهم دول العالم التي تمتلك موارد ضخمة من الطاقة الى الدرجة التي أهلتها الى جانب عدد محدود من الدول التحكم بواقع ومستقبل برامج انتاج وتوزيع الطاقة عالمياً ، وتبعاً لذلك التأثير بشكل فعال بالجوانب الاقتصادية والتنموية للعديد من دول العالم وانعكاسها على قراراتها السياسية وربما الاستراتيجية . وفي هذا الاطار وضعت روسيا منذ عام ٢٠٠٠ سياسة للطاقة على قدر عالٍ من التخطيط الاستراتيجي، تهدف الى استعادة روسيا لدورها العالمي عبر توظيف إمكانياتها في مجال الطاقة بأنواعها للتأثير بمجريات الاقتصاد العالمي لا سيما في منطقتين مهمتين للغاية وهما الاتحاد الأوربي وآسيا، فضلاً عن زيادة مستوى التنسيق مع الدول الأساسية المنتجة للطاقة حول العالم , ومن ثم التأثير على طبيعة وشكل أنماط التعاون والتنافس والصراع والتحالفات والشراكات العالمية على كافة الصعد، وهو الامر الذي أتاح لروسيا أن تستعيد جانباً كبيراً من قدرات الاتحاد السوفييتي المتعلقة بالنفوذ والتأثير العالمي لكن بأهداف ووسائل جديدة لرسم ملامح عالم أقل ما يقال عنه أنه عالم ذو قطبية أحادية هشة يتجه نحو التعددية القطبية.

Russia is one of the most important countries in the world that possesses huge energy resources to the degree that it, along with a limited number of countries, has qualified it to control the reality and future of energy production and distribution programs globally, and accordingly it effectively influences the economic and development aspects of many countries of the world and its reflection on their political and perhaps strategic decisions. . In this context, since 2000, Russia has developed an energy policy with a high degree of strategic planning aimed at restoring Russia to its global role by employing its capabilities in the field of energy of all kinds to influence the course of the global economy, especially in two very important regions, namely the European Union and Asia, as well as increasing the level of coordination with countries. major energy producers around the world, , and thus influencing the nature and form of patterns of cooperation, competition, conflict, alliances and global partnerships at all levels, which allowed Russia to regain a large part of the capabilities of the Soviet Union related to global influence and influence, but with new goals and means to draw the features of a world that is least said to be a fragile unipolar world It is moving towards multipolarity.

**الكلمات المفتاحية**: الطاقة، روسيا الاتحادية، الدور العالمي.

## المقدّمة:

من أهم سمات السياسة الدولية في العالم المعاصر هي طبيعة توظيف القدرات المتاحة في مجال دعم الدور السياسي للدول خدمة لتحقيق أهدافها ومصالحها الحيوية , ومن بين أهم القدرات المتاحة في هذا المجال هي الطاقة لا سيما في ضوء نظام عالمي يغلب المنطق الاقتصادي والتكنلوجي على طبيعته الاساسية .

وتعد روسيا واحدة من بين أهم دول العالم التي تمتلك موارد ضخمة من الطاقة الى الدرجة التي أهلتها الى جانب عدد محدود من الدول التحكم بواقع ومستقبل برامج انتاج وتوزيع الطاقة عالميا وتبعاً لذلك التأثير بشكل فاعل بالجوانب الاقتصادية والتنموية للعديد من دول العالم وانعكاسها على قراراتها السياسية وربما الاستراتيجية .وفي هذا الإطار وضعت روسيا منذ عام ٢٠٠٠ سياسة للطاقة على قدر عالٍ من التخطيط الاستراتيجي، تهدف الى استعادة روسيا لدورها العالمي عبر توظيف امكانياتها في مجال الطاقة بأنواعها للتأثير بمجريات الاقتصاد العالمي لا سيما في منطقتين مهمتين للغاية وهما الاتحاد الاوربي وآسيا، فضلاً عن زيادة مستوى التنسيق مع الدول الأساسية المنتجة للطاقة حول العالم, وبالتالي التأثير على طبيعة وشكل أنماط التعاون والتنافس والصراع والتحالفات والشراكات العالمية على كافة الصعد، وهو الامر الذي أتاح لروسيا ان تستعيد جانباً كبيراً من قدرات الاتحاد السوفييتي المتعلقة بالنفوذ والتأثير العالمي لكن بأهداف ووسائل جديدة لرسم ملامح عالم أقل ما يقال عنه أنه عالم ذو قطبية أحادية هشة يتجه نحو التعددية القطبية وقد مثل السلوك الروسي حيال الحرب مع اوكرانيا عام ٢٠٢٢ مثالاً في مجال توظيف الطاقة لدعم الدور الروسي العالمي الجديد , ومما سبق أعلاه تنبع اهمية البحث.

**مشكلة البحث** : تتركز مشكلة البحث الأساسية في السؤال المركزي الآتي ( هل وظفت روسيا الاتحادية قطاع الطاقة في مهمة دعم دورها العالمي الجديد الذي انطلق منذ عام ٢٠٠٠ ؟ وما طبيعة ومدى نجاح هذا التوظيف ؟.

**فرضية البحث** : وللإجابة على مشكلة البحث فإننا ننطلق من فرضية مركزية تعد بمثابة الحل الأولي للمشكلة قوامها ( **إن روسيا الاتحادية وظفت قطاع الطاقة بشكل ناجح الى حد كبير منذ عام ٢٠٠٠ لاستعادة مكانتها ودعم دورها العالمي عبر توظيف قدراتها الكبيرة لا سيما في مجال الغاز للضغط والمساومة والتفاوض في ملفات استراتيجية كبرى** )

**منهج البحث** : يعتمد البحث على المنهج الاستقرائي الذي ينطلق من الخاص الى العام عبر التركيز على جانب واحد من جوانب دعم الدور الروسي العالمي منذ عام ٢٠٠٠ ألا وهو قطاع الطاقة ومحاولة تعميم الاستنتاجات في مجال محاولات روسيا دعم مكانتها العالمية .

## المحور الأول : مفهوم الطاقة . concept of energy

على الرغم من أن طبيعة الطاقة تجمع بين العناصر الكيميائية والفيزياوية والاحيائية، إلا أن لها دلالات اجتماعية اقتصادية سياسية وحضارية بشكل واضح جداً.

فقد عرف الانسان الطاقة منذ بداية وجودة على الأرض وصارت مكوناً أصيلاً من مكونات حياته اليومية ووسيلة أساسية من بين وسائل تطوره الحضاري ونموه العمراني والسياسي والاقتصادي بعد أن أصبحت الأداة الرئيسة التي تمد الكون بالحركة والديمومة .

وتبعاً لذلك لم يسع الانسان بأي حال الاستغناء عنها على مدى حقب التاريخ بعد ان دخلت في كل مفاصل الحياة بطريقة مباشرة وغير مباشرة .

ومن أجل هذا الهدف نظر الانسان عبر مراحل حياته الى الطاقة ومصادرها وطرق البحث عنها بمقارنة مختلفة ومتدرجة في الوقت نفسه ولكن بطريقة مترابطة , ففي بداية الأمر ارتبط مفهوم الطاقة بشكل أكثر بمعنى الطاقة الروحية وامتزج بها كما الحال مع جدلية مفهوم النفس والروح .

وقد أسهم الكثير من الفلاسفة في العصور القديمة ومنهم ارسطو في تطوير مفهوم الطاقة عندما تطرق الى دور النار في حياة الإنسان وتطوره بعدّه أحد أهم العناصر الاساسية الاربعة في الطبيعة ( الارض , النار, المياه, الهواء) التي تمثل عناصر الطاقة المحركة للكون. [١] وهذا ما اثبتته وقائع التاريخ؛ إذ ان الذين اكتشفوا النار في البداية كان بأستطاعتهم التغلب على اعدائهم عن طريق تسخير النار في حرق مناطق اعدائهم او في صهر المعادن وتشكيلها لاستخدامها كأدوات للسيطرة على الشعوب الأخرى وعلى مقدراتهم [٢] . ثم في القرون الوسطى بدأ النظر الى الطاقة على أنها عبارة عن قدرة المواد الجامدة على إنشاء حركة دون تكوين للحياة غير أن هذه الفكرة سرعان ما تعرّضت لإعادة تفسير وتنظيم وتعريف حينما ذهب مجموعة من العلماء ومنهم انشتاين الى القول إن الطاقة ليست مادة خاصة بقدر ما صفة ملازمة لكل مادة جامدة تجعلها قادرة على أن تتحول وتتغير وتولد حالات فيزيائية وكيميائية جديدة وتؤثر على غيرها من المواد.[٣]

أما بعد جهود انشتاين ورفاقه فقد شهد مفهوم الطاقة تطوراً جديداً حينما تم تعريف الطاقة على إنها قدرة نظام ما على انتاج فاعلية أو نشاط خارجي أو هي كمية فيزيائية تظهر على شكل حركة ميكانيكية وطاقة ربط في انوية الذرة بين البروتينات والنيوترونات. [٤]

وهكذا تطور مفهوم الطاقة الى أن وصل الى مفهومه الحالي الشائع الذي يمكننا القول إن كل قدرة على القيام بعمل سواء كان فكرياً أم مادياً عبر جهد معين تحتاج الى طاقة وعليه فإن الإنسان هو الأصلح والأقدر على استخدام طاقاته المختلفة. ومن هنا ارتبط مفهوم الطاقة والقدرة على استخدامها بمفهوم الكفاءة والاداء وارتبطت الحضارات نسبياً بمدى قدرتها على الوصول لمصادر الطاقة انطلاقاً من أن الطاقة هي المدخلات الأساسية لأي نظام انتاجي عالمي. [٥].

ومن هنا فإن الطاقة يمكن أن تعرف على أنها القدرة على إنجاز عمل ما , أو هي قدرة المادة على إعطاء قوة قادرة على إنجاز عمل معين . [٦]. وهي كذلك قدرة نظام ما على إنتاج فاعلية أو نشاط خارجي وهي كمية فيزيائية تظهر على شكل حركة ميكانيكية أو طاقة ربط بين أنوية الذرة .

وقد تطورت مصادر الطاقة مع تطور وسائل العمل التي ابتكرها الإنسان لسد احتياجاته المادية والمعنوية مع تطور الزمن وعوامل الحضارة، إذا بدأت بالقوة البدنية ثم طاقة الحيوانات واستغلال طاقة النار وحركة الرياح لتحريك السفن والطواحين وسقوط المياه للري إلى أن شهد العالم في العصور الحديثة استخدام الوقود الأحفوري مثل الفحم الحجري والنفط والغاز والطاقة النووية الخ وتطورت وتنوّعت مصادر الطاقة الحديثة بشكل غير مسبوق في النصف الثاني من القرن العشرين لنشهد كماً هائلاً من مصادر الطاقة لكن كل هذه الأنواع يمكن حصرها بنوعين أساسيين هما الطاقة الناضبة والطاقة المتجددة .

## المحور الثاني : مصادر الطاقة the resources of energy

**وتنقسم على نوعين أساسيين هما:**

### أولاً : مصادر الطاقة الناضبة. Depleted resources

ويقصد بها المصادر ذات الطبيعة المؤقتة التي تتسم بمحدودية امكانية التعويض للكميات المستهلكة منها وهي الطاقة الاحفورية بشكل خاص التي تشكل النسبة الأكبر من الاستهلاك العالمي من الطاقة مثل النفط والغاز الطبيعي والفحم الحجري وغيرها. [٧]

١ – **النفط الخام** . ويُعد من أكثر مصادر الطاقة الأحفورية الناضبة انتشاراً لحد الآن وأهمها على الاطلاق وهو عبارة عن سائل ذي لون أسود كثيف وقابل للأشتعال يتكون من خليط من المركبات العضوية يشكل فيها الكاربون والهدروجين النسبة الساحقة لكنها تختلف من نوع الى آخر من أنواع النفط المختلفة [٨] . وقد سادت الكثير من النظريات التي تعلل سبب تكونه عبر التاريخ من أهمها النظرية اللاعضوية التي تؤكد على أنه مادة كاربونية تتعلق بالتفاعل بين مكونات قشرة الأرض والثانية عضوية أكثر حداثة تؤكد على أنه مادة هيدروكاربونية نتجت عن تحلل الكائنات الحية من حيوان ونبات [٩] وتخزنت بالأرض عبر الزمن وبين هذه وتلك توجد الكثير من التفسيرات لتكوين هذه المادة الاستراتيجية .

ويشكل النفط ما يقارب ٣٦٪ من الاستهلاك العالمي للطاقة إلا أن هذه النسبة معرّضة للتغيير بشكل تنازلي في ظل تنامي استخدام المصادر الاخرى من مصادر الطاقة، غير ان النفط لا يزال يمثل المصدر الأهم من مصادر الطاقة نظراً لتعدد مجالات استخدامة ووفرته وسهولة استخدامة ونقله وتقدر احتياطيات العالم المؤكدة من النفط حوالي ١٥٠٠ معرضة للزيادة والنقصان بسبب عمليات الاكتشاف من جهة وعمليات الاستهلاك من جهة أخرى .

والجدول الآتي يوضح الاحتياطات المؤكدة من النفط الخام لأكبر الدول من حيث الاحتياطي مقدرة بمليار برميل:

الجدول رقم ( ١) يبين الاحتياطيات العالمية للنفط لعام ٢٠٢٠ لمجموعة من الدول ذات الاحتياطيات الاكبر.

| ت | الدولة | مليار برميل | النسبة من الاحتياطي العالمي |
|---|---|---|---|
| ١ | فنزويلا | ٣٠١ | ٪٢٠ |
| ٢ | السعودية | ٢٦٦ | ٪١٧ |
| ٣ | ايران | ١٥٨ | ٪١٠ |
| ٤ | العراق | ١٤٢ | ٪٩ |
| ٥ | الكويت | ١٠١ | ٪٦,٨ |
| ٦ | الامارات | ٩٧ | ٪٦,٦ |
| ٧ | روسيا الاتحادية | ٨٠ | ٪٥ |
| ٨ | ليبيا | ٤٨ | ٪٣ |
| ٩ | نيجيريا | ٣٧ | ٪٢,٥ |
| ١٠ | الولايات المتحدة | ٣٦ | ٪٢,٤ |
| ١١ | كازاخستان | ٣٠ | ٪٢ |
| ١٢ | قطر | ٢٥ | ٪١,٧ |
| ١٣ | الصين | ٢٥ | ٪١,٦ |

OPEC : Organization the Petroleum Exporting Countries , Annual Statistical Bulletin,٢٠٢٠ , p 22

**٢ – الغاز الطبيعي** . وهو ثاني أهم مصدر من مصادر الطاقة على مستوى العالم من حيث الاستخدام وهو الأكثر شيوعاً . وعلى الرغم من حداثته مقارنة بالنفط والفحم الا أن هناك عوامل كثيرة جعلت منه محط اهتمام غير مسبوق من قبل المستهلكين تأتي في مقدمة هذه العوامل قلة مساهمته في تلوث البيئة نظراً لمحدودية وجود العناصر الكاربونية والكبريت والرصاص التي تعمل على تلوث البيئة , وسهولة نقله , واعتدال أسعاره , وتزايد مجالات استخدامه لا سيما في الصناعات البتروكيمياوية والطاقة الكهربائية .. الخ الأمر الذي دفع العالم الى الاهتمام بتطوير انتاجه وزيادة نسب الاستخراج والاستخدام في كافة المجالات حيث وصلت نسبة استخدامه الى ٢٣ % من بين

مصادر الطاقة على مستوى العالم مع وجود فرص حقيقية وكبيرة لزيادة نسبة مساهمته في سوق الطاقة العالمي مستقبلا [10]. وتتوقع ادارة معلومات الطاقة الامريكية أن يتجاوز استهلاك الغاز الطبيعي للفحم الحجري بحدود عام ٢٠٣٠ إذ ستصبح نسبته ٣٠ % من مجمل الاستهلاك العالمي من الطاقة[11] . وما يساعد على التوسع في نسب استهلاك الغاز الطبيعي هو وفرته وتزايد الاحتياطات بأستمرار نتيجة تكثيف عمليات الاستكشاف عالمياً وتطور الوسائل التقنية ذات الصلة بعمليات الاستكشاف والتنقيب حيث تجاوزت الاحتياطات العالمية من الغاز ١٨٥ ترليون متر مكعب التي تكفي لأكثر من ٦٠ سنة وفقاً للاستهلاك العالمي الحالي [12].

والجدول رقم ( ٢) يبين الاحتياطيات العالمية من الغاز الطبيعي لعام ٢٠٢٠ مقدرة بالترليون متر مكعب بشكل تقريبي:

| ت | الدولة | ترليون متر مكعب | النسبة من الاحتياطي العالمي |
|---|---|---|---|
| ١ | روسيا | ٥٥,٥ | % 24.5 |
| ٢ | ايران | 33.5 | % 16,6 |
| ٣ | قطر | ٢٥ .3 | % 12,2 |
| ٤ | الولايات المتحدة | 11 | % 5,4 |
| ٥ | تركمانستان | 9,9 | % 4.9 |
| ٦ | السعودية | 8,6 | % 4,3 |
| ٧ | الامارات | 6 | % 3 |
| ٨ | فنزويلا | 5,7 | % 2,8 |
| ٩ | نيجيريا | 5,3 | % 2,6 |
| ١٠ | الجزائر | 4.6 | % 2,2 |
| ١١ | استراليا | 3,7 | % 1,8 |
| ١٢ | الصين | 3,4 | % 1,7 |
| ١٣ | العراق | 3,2 | % 1,6 |

OPEC: Organization the Petroleum Exporting Countries, Annual Statistical Bulletin, ٢٠٢٠ , p 22 . British Petroleum, statistical Review of World Energy, ٢٠٢٠ www. Bp .com, P 6

٣- **الفحم الحجري**. يُعد الفحم الحجري من بين مصادر الطاقة الاحفورية وأكثرها توفراً و تمثل مصدراً بديلاً للنفط والغاز في حالات ومراحل معينة , ويتألف أساساً من الكاربون والهدروجين والاوكسجين ومن أهم أنواع الفحم الحجري هي الخث والفحم البني والفحم القطراني , وقد ظهرت أهميته مع الثورة الصناعية وتقدر الاحتياطات المؤكدة للفحم الحجري ( ٩٨٤ ) مليار طن تقريباً أي ما يكفي العالم من ١٩٠ سنة قادمة حيث يبلغ الانتاج العالمي حالياً ما يزيد عن ٤ مليارات طن سنوياً ، وتأتي معظم هذه النسبة من الصين والولايات المتحدة والهند واستراليا وجنوب أفريقيا [١٣] . ومن هنا فإن القاعدة الأساس لموارد الفحم تفوق كثيراً من حيث الحجم قاعدتي الموارد النفطية والغازية ، فضلاً عن ذلك رخص أسعاره وتوزع احتياطاته بشكل أكثر تكافؤ وتوازن على بقاع العالم , غير ان استخدامة يؤدي الى الكثير من المشاكل البيئية إذ أنه يشكل أكبر تهديد لنقاء الهواء وسلامة البيئة فعند احتراقة ينتج ثاني أوكسيد الكاربون بكميات كبيرة جداً لذلك فإن هنالك ميلاً عالمياً كبيراً للتقليل من استهلاك الفحم، الأمر الذي سيؤدي بالنتيجة الى تراجع أهميته في مجال الطاقة عالميا مالم تتوصل التكنولوجيا الى وسيلة للتغلب على هذه المشكلة [١٤] .

ثانياً : **مصادر الطاقة المتجددة** . renewable energy sources . وهي تعبير اقتصادي اجتماعي يدل على مصادر الطاقة التي يمكن أن تتجدد الى ما لا نهاية و يمكن أن تمثل بديلاً بشكل جزئي أو كلي للطاقة التقليدية غير المتجددة وتمتاز بمحدودية تأثيرها السلبي على البيئة بشكل واضح جداً، فضلاً عن انها باتت تمثل معياراً للاشارة الى درجة تقدم المجتمعات والدول ومدى مسؤوليتها أمام التزاماتها الدولية في مجال النمو والتنمية وإصحاح البيئة على كافة المستويات.

لذلك فإن الكثير من الدراسات المستقبلية المهتمة بمجال الطاقة ترى أن العالم سيُقبل بشكل كبير على تطوير امكانياته في مجال الطاقة المتجددة؛ انطلاقاً من قدرتها على انجاز متطلبات النمو العالمي بشكل يمتاز بالديمومة والدينامية والجودة وتكاليف معقولة، إذ تقدر هذه الدراسات أن الاستثمارات العالمية المتوقعة في مجال تطوير بدائل الطاقة المتجددة حتى عام ٢٠٤٠ حوالي ٧ ترليون دولار [١٥] .

ومن بين أهم أنواع الطاقة المتجددة هي :

أ – الطاقة الشمسية . ب – الطاقة الكهرومائية .

ج – طاقة الرياح . د – طاقة الكتلة الحيوية ( الناتجة من المواد النباتية)

هـ – طاقة باطن الأرض والرمال . و – طاقة المد والجزر.

والجدول رقم ( ٣ ) يبين انتاج الطاقة المتجددة في العالم عبر المقارنة بين عام ٢٠٠٤ وعام ٢٠٣٠ مقدرة بالتيرا واط بالساعة لبعض المصادر وبمليون طن مكافئ من المكافئ النفطي:

| مصادر الطاقة | ٢٠٠٤ | ٢٠٣٠ | الزيادة بعدد المرات قريبا |
|---|---|---|---|
| توليد الكهرباء | ٣١٧٩ | ٧٧٧٥ | ٢ |
| الطاقة المائية | ٢٨١٠ | ٤٩٠٣ | ٢ |
| الكتلة الحيوية | ٢٢٧ | ٩٨٣ | ٤ |
| الطاقة الشمسية | ٤ | ٢٣٨ | ٦٠ |
| طاقة حرارة الارض | ٥٦ | ١٨٥ | ٣ |
| طاقة الرياح | ٨٢ | ١٤٤٠ | ١٨ |
| طاقة المد والجزر | اقل من ١ | ٢٥ | ٤٦ تقريبا |

Source ; Killmann , W , Forests and Energy , Key issues , FAO Forestry Paper ( 154 ) , ( FAO ) Food and Agriculture organization of United Nation , Rome , ٢٠١٨ . p 11

## المحور الثالث : قدرات روسيا الاتحادية في مجال الطاقة .

Russia's energy capabilities

بفعل اتساع مساحة روسيا الاتحادية البالغة ١٧١٢٥١٩١ كم مربع [١٦] التي جعلت منها الدولة الاكبر بالعالم من حيث المساحة وبفارق كبير عن أقرب الدولة لها وبواقع ١٣٪ من مساحة اليابسة على كوكب الأرض [١٧] . وانطلاقاً من هذا الاتساع فإنها تمتلك أكبر احتياطي عالمي من موارد الطاقة بأشكالها المتنوعة ، فضلاً عن موارد طبيعية وزراعية ومائية ومعدنية هائلة .

فهي مثلاً تمتلك أكبر احتياطي عالمي من الغاز الطبيعي وصل في عام ٢٠١٩ الى ٥٥ ترليون متر مكعب بعد إن كان ٤٩ ترليون متر مكعب عام ٢٠١٥ [١٨] , وهو ما يعني أن روسيا تسيطر على أكثر من ربع الاحتياطيات العالمية من الغاز الطبيعي والبالغة ٢٠١ ترليون متر مكعب منذ عام ٢٠١٨ [١٩]

أما من حيث الاحتياطي النفطي المؤكد فأنها تحصل على المركز السابع عالميا من بين الدول الأكبر احتياطاً وبواقع ٨٠ مليار برميل وهو ما يمثل نسبة ٥,٤ % من الاحتياطي العالمي المؤكد [٢٠]

كما تمتلك روسيا ثاني أكبر احتياطي عالمي من الفحم الحجري بعد الولايات المتحدة يبلغ ١٧٨ مليار طن، وتحتل المركز الثالث عالمياً من احتياطي الذهب بعد جنوب أفريقيا والولايات المتحدة والمركز الاول في احتياطي معدن النيكل والبوكسايت والثاني من الاحتياطي العالمي من اليورانيوم [٢١] . كما انها تمتلك اراضي زراعية خصبة وشاسعة واكبر رقعة في العالم من الغابات التي توفر خزينا هائلاً من الاخشاب للصناعات المختلفة والتدفئة، تتكامل مع اكبر مخزون عالمي من المياه العذبة الوفيرة المخصصة للزراعة والصناعة او لسد حاجة السكان من المياه الصالحة للشرب [٢٢].

ويقع القسم الاكبر والبالغ ٨٠ % من كل هذه الاحياطيات المختلفة في الجزأ الشرقي من الاراضي الروسية بينما يتركز الجانب الاكبر من السكان ومن المراكز الصناعية المستهلكة لجانب مهم من هذه الاحتياطيات في المناطق الغربية من البلاد، الأمر الذي يؤدي الى ارتفاع تكاليف الانتاج بسبب ارتفاع تكاليف النقل نظراً لبعد المسافة [٢٣] . وهو الأمر الذي دفع صناع القرار الروس الى وضع الخطط اللازمة لمواجهة هذه المشكلة عبر سياسات الطاقة المتبعة بهذا الخصوص لا سيما في إطار الانفتاح على الأسواق الآسيوية الواعدة والقريبة من مناطق شرق روسيا كما سوف يتم ايضاحه في المحاور القادمة .

وانطلاقاً من هذه النسب الكبيرة للأحتياطيات الروسية من أنواع الطاقة المختلفة، فقد احتلت روسيا مراكز متقدمة ومنذ فترة طويلة في سلم الانتاج العالمي للطاقة , ففي مجال النفط الخام تبادلت الادوار وتناوبت مع المملكة العربية السعودية على المركز الأول والثاني في الانتاج العالمي بواقع ينحصر بين ١٠ – ١١ مليون برميل يومياً يشكل أكثر من ١٤ % من مجمل الانتاج العالمي من النفط الخام [٢٤]. وتخصص نسبة كبيرة منه نحو التصدير للأسواق العالمية إلا أن روسيا تحتل المركز الثاني عالمياً بعد السعودية في مجال تصدير النفط نظراً لاستهلاك كميات كبيرة من نفطها داخليا .

أما فيما يتعلق بالغاز فإن روسيا الاتحادية تكاد تهيمن على سوق الغاز العالمي بشكل واضح يؤهلها في ذلك احتياطياتها الهائلة واستثمارها المستمر في البنية التحتية من حقول وشبكة أنابيب نقل الغاز هي الأكبر والأطول من نوعها في العالم وخبراتها التكنولوجية في مجال الطاقة عبر شركاتها المتخصصة العملاقة، بشكل قاد روسيا أكثر من أي دولة أخرى في العالم الى النجاح المستمر في زيادة احتياطياتها من الغاز الطبيعي سنة بعد أخرى وبفارق كبير والجدول الآتي يبين نجاح روسيا في زيادة احتياطياتها من الغاز الطبيعي في سنين مختارة مقارنة مع دول أخرى .

جدول رقم ( ٣ ) يبين الزيادة في الاحتياطيات من الغاز الطبيعي لمجموعة من الدول في سنين مختارة مقدرة بترليون متر مكعب.

| الدولة | ٢٠١٠ | ٢٠١٢ | ٢٠١٤ | ٢٠١٦ | ٢٠١٨ | ٢٠٢١ |
|---|---|---|---|---|---|---|
| روسيا | 46 | 48,676,0 | 48,810, | 49,541, | 49,541,0 | ٥٥ ,00 |
| ايران | 33,620 | 33,780, | 34,000 | 34,000 | 33,500, | 33.500 |
| قطر | 25,110 | 25,069. | 24,531, | 24,681, | 24,299, | ٢٦,000 |
| السعودية | 8,151, | 8,235,00 | 8,317,0 | 8,488,0 | 8,588,00 | 8,588,0 |
| الامارات | ٦,000 | ٦,000 | ٦,000 | ٦,000 | ٦,000 | ٦,000 |

S0URSE; BP, World Proven natural Gas reserves by country , ٢٠٢١ , p 26

وعلى الرغم من أن الولايات المتحدة أنتجت في بعض السنوات من الغاز الطبيعي كميات اكبر من روسيا اجمالا حيث بلغ انتاجها مثلا عام ٢٠١٦ ما يقارب ٧٤٩ مليار متر مكعب بنسبة تبلغ ٢١ % من الانتاج العالمي، الا أن روسيا التي تنتج ما يقارب ٦٣٧ مليار متر مكعب بنفس العالم وبنسبة تبلغ ١٧ % من الانتاج العالمي [٢٥] في حين أن الانتاج الامريكي يستهلك داخليا بشكل شبه كامل بينما يُصدر معظم الانتاج الروسي الى الأسواق الدولية عبر وسائل نقل ضخمة تتوزع بين أنابيب وناقلات بحرية، فضلاً عن وسائل النقل التقليدية كالقطارات.

## المحور الرابع: سياسة الطاقة الروسية ( الملامح الأساسية )

Russian Energy Policy ( The basic Features)

بعد تفكك الاتحاد السوفييتي عام ١٩٩١ برزت روسيا الاتحادية بأعتبارها الوريث الشرعي للأتحاد السوفييتي فهي الدولة الأكبر والاقوى في الاتحاد، وهي الدولة التي تملك قدرات اقتصادية وبشرية وعسكرية وجغرافية تؤهلها الى لعب دور مهم يحاكي ذلك الدور الذي أنجزه الاتحاد السوفييتي , إلا أن دوامة التراجع والتدهور السريعة التي مرت بها روسيا في تلك المدة التي امتدت من عام ١٩٩١ الى عام ١٩٩٩ أي خلال مدة رئاسة الرئيس بوريس يلتسن وجزء من ولاية يفغيني بريماكوف لم تسمح لروسيا بتأدية هذا الدور المتوقع .

حيث قامت هذه الحقبة على أساس ادراك سياسي روسي قوامه ان الطريقة المثلى للتعامل الروسي الايجابي مع جملة المشاكل الاقتصادية انما تتم عن طريق التقارب من الغرب بقيادة الولايات المتحدة واتباع وصفاته والإيمان بصدق نواياه في مواجهة مشاكل روسيا المتنوعة لا سيما الاقتصادية منها؛ سعياً وأملاً من القيادة الروسية للاندماج بالاقتصاد والحضارة الغربية الى الابد . وقد كان جوهر الوصفة الغربية للأقتصاد الروسي يقوم على تقديم قروض مشروطة لكنها بنفس الوقت غير كافية لمواجهة نتائج الأزمة الاقتصادية الكبيرة، ومن أهم هذه الشروط هي إجراء موجات تخصيص للاقتصاد الروسي وصولاً الى تسليم الجانب الأكبر منه بما فيه قطاع الطاقة الى القطاع الخاص بعدّه حسب الوصفة الغربية الجهة الأقدر على إدارة الاقتصاد وانتشاله من مشاكله المتداخلة

غير أن النتيجة كانت مزيداً من التدهور والتراجع على كافة المستويات للدولة الروسية وتقلص حجم اقتصادها وتدهور قيمة العملة الروسية وارتفاع نسب البطالة والتضخم وتوقف شبه تام للأنتاج وارتفاع نسب المديونية , وكل هذه المؤشرات السلبية قادت الى ارتهان الاقتصاد الروسي بل والقرار السياسي الخارجي الروسي نفسه لنوع من القوى المؤثرة على الصعيد الداخلي متمثلة ببعض الرأسماليين الجدد ورجال المال والمافيا والصعيد الخارجي متمثلة بالغرب وقواه وأذرعه الاقتصادية المختلفة .

وفي هذه المرحلة لم يفلح قطاع الطاقة الروسي في تقديم الحلول المفيدة لاخراج روسيا من مشاكلها المختلفة انطلاقا من ضعف الارادة السياسية القادرة على توظيف مخرجات هذا القطاع بشكل فعال لمصلحة روسيا بعدما ترك هذا القطاع الحيوي رهينة لساسات القطاع الخاص الروسي قليل الخبرة والامكانيات من جهة ولتراجع اسعار الطاقة بشكل عام في تلك المدة بالتزامن مع المشاكل الفنية التي كانت تعتري عمل قطاع الطاقة لا سيما قطاعي النفط والغاز بأعتبارهما أهم مصادر الطاقة في روسيا والعالم.

وانطلاقاً من ضخامة حجم قطاع الطاقة الروسي مقارنة بالقطاعات الاخرى فقد اعتمد الاقتصاد الروسي بوقت مبكر وبنسب مرتفعة على هذا القطاع الى أن غدا قطاعاً قائداً للاقتصاد الروسي بشكل جعل من

معظم السياسات الاقتصادية الروسية أو أي اصلاحات تقوم بها الدولة الروسية لا تجعل من الطاقة بوصلتها في العمل يلفها الشك وعدم اليقين.

ومن هنا فقد وضعت القيادة الروسية بقيادة بوتن منذ توليه مسؤوليته عام ١٩٩٩ نصب عينها مهمة وضع قطاع الطاقة في مقدمة اهتماماتها الاقتصادية لاستعادة زخم الاقتصاد وتفعيل طاقاته المتلكئة والنهوض به عبر الشروع منذ العام ٢٠٠٠ بحملة اصلاحات شاملة لمعالجة اخفاقات مدة رئاسة بوريس يلتسن لاستعادة على الاقل جزأ من ثقة العالم بروسيا ومكانتها العالمية عبر إعادة الثقة للأقتصاد وتحسين جودة الحياة للشعب الروسي ولتعزيز مكانة بوتن ونفوذه في السلطة [٢٦] .

ومنذ ذلك العام صار التقدم الاقتصادي المبني على الاصلاحات الشاملة يمثل قيمة كبرى لدى صناع القرار الروس في المناصب العليا للدولة وأصبحت منذ تلك الحقبة أولوية الاقتصاد في مقدمة الأهداف الاستراتيجية بعيدة المدى لروسيا الاتحادية واستمر هذا التوجه بشكل تصاعدي الى عام ٢٠٠٩ عندما صدرت استراتيجية الأمن القومي الروسي التي وضعت لنفسها اطار زمني ينتهي عام ٢٠٢٠ يجب أن تتحول فيه روسيا مجدداً الى دولة عظمى عبر جعلها احدى القوى الخمس الأكبر اقتصاداً في العالم وربطت بين هذا الهدف والأمن القومي الروسي ربطا حتمياً [٢٧].

وعلى ضوء هذا التوجه وبغض النظر عن مدى تحقق كامل أهداف الاستراتيجية إلا أن قطاع الطاقة في روسيا بات يمثل النواة الصلبة من بين عوامل القوة القومية الروسية وتم استكمال سياسة الطاقة الروسية وصارت أكثر وضوحاً ونضجاً واستيعاباً لمتغيرات ( فرص ومحددات ) البيئتين الداخلية والخارجية إقليمياً ودولياً .

وتعتمد سياسة الطاقة الروسية منذ عام ٢٠٠٠ ولحد الآن على تحليل التغييرات والتطورات الحاصلة والتحديات والفرص المنهجية أمام قطاع الطاقة على المستويين الداخلي والخارجي وتتعامل بحذر وعزيمة بنفس الوقت مع المواقف المتأزمة المؤثرة على التنمية الاقتصادية الروسية [٢٨] .

وتقوم سياسة الطاقة الروسية على جملة من الركائز الاساسية تتعلق بالانتاج والشراكات الاستراتيجية والأسعار وطرق النقل المختلفة وأخيرا الاسواق وعلى ضوء هذه الجوانب تتحدد معالم أمن الطاقة للدول سواء كانت من فئة الدول المنتجة أم المستهلكة مع الأخذ بنظر الاعتبار بعض الفوارق بين نظر الفئتين لبعض معاني أمن الطاقة [٢٩].

فعلى المستوى الداخلي تم وضع معايير جديدة لتطوير قطاع الطاقة على مستوى الانتاج في إطار انتقال الاقتصاد طويل الأجل , وتستخدم أحكام هذه السياسة في تطوير وتعديل برامج تنمية هذا القطاع وبرامج اقاليم الاتحاد الروسي كافة أو تنمية قطاع الطاقة في الشرق الاقصى الروسي أو سيبيريا الشرقية والاقليم الشمالي الغربي لروسيا وشبه جزيرة يامال والجرف القاري لروسيا وهي مناطق إنتاج النفط الاساسية , فضلاً عن تعديل الكثير من الخطط لتطوير قطاعات مستقلة في مجمع الوقود والطاقة الذي يقود قطاع الطاقة, وكذلك اجراء التعديلات المستمرة للبرامج الاستثمارية والمشاريع الضخمة للشركات العاملة في قطاع الطاقة وجميع هذه البرامج

هدفها النهائي تعزيز الفعالية والمرونة لسياسة الطاقة الروسية في مجال الانتاج لتفعيل الفرص المتاحة ومواجهة التحديات بنجاح [٣٠] .

كما قامت سياسة الطاقة الروسية في مجال الانتاج على المستوى الداخلي بخلق ظروف ضريبية أكثر ملائمة في مجمع النفط والغاز , وتشجيع تطوير شركات وصناعات التكرير والبتروكيمياويات لخلق قيمة مضافة أكبر وتطوير وسائل الانتاج والتراكم التكنولوجي وتشغيل أكبر عدد ممكن من العمالة , وتطوير تجارة البورصة لموارد الطاقة والغاء العوائق الادارية المعيقة لعمل مؤسسات إنتاج الطاقة [٣١] .

وقد يكون أهم تطور في مجال سياسة الطاقة الروسية على مستوى الانتاج هو قيام الرئيس فلادمير بوتن بإعادة تحكم الدولة في قطاعات الطاقة بأنواعها بعده الى جانب قطاع الصناعات العسكرية أكبر مصادر الدخل والقوة الروسية [٣٢].

و نجحت سياسة الطاقة الروسية الى حد معقول في مواجهة إحدى مشاكلها في مجال الانتاج وهي تركز ٨٠ % من احتياطات النفط والغاز في المناطق الشرقية ومناطق سيبيريا التي تبتعد كثيراً عن مناطق الكثافة السكانية في الغرب الروسي بشكل يرفع كثيراً من تكاليف نقل الطاقة الى مناطق الاستهلاك المحلي[٣٣] , عبر نقل جزء كبير من منشأتها الصناعية الى الشرق أولاً وربط حقولها بشبكة أنابيب مشتركة منخفضة الكلفة نحو مناطقها الغربية ومناطق التصدير الى أوربا ثانياً والتوجه نحو زيادة الصادرات الى آسيا القريبة من مناطق الانتاج ثالثا.

فضلا عن دخولها بشراكات استراتيجية مع دول و شركات دولية متخصصة في مجال انتاج وتطوير الطاقة الاحفورية والطاقة المتجددة لتطوير وزيادة قدرات روسيا الانتاجية، لا سيما في مناطق الجرف القاري لروسيا والتنقيب في القطب الشمالي الذي عززت روسيا من تواجدها فيه في السنوات الأخيرة عبر استثمارات محلية، أو بالشراكة مع أطراف أجنبية مختلفة والهدف هو زيادة احتياطياتها وقدراتها الانتاجية معاً .كما لا يمكن تجاهل حقيقة أن روسيا باتت دولة مهمة في مجال تكنولوجيا التنقيب والحفر والاستكشافات النفطية والغازية وبناء المفاعلات النووية بأنواعها [٣٤] .

أما على مستوى الأسعار فإن ضمان أسعار مناسبة للطاقة لا سيما النفط والغاز وفتح الاسواق وطرق الامداد للخارج قضية أمن قومي روسي نظراً للأعتماد الكبير على موارد الطاقة بالنسبة للناتج المحلي الروسي, فروسيا اكبر منتج وثاني اكبر مصدر للنفط واكبر منتج ومصدر عالمي للغاز الطبيعي، ومن هنا أصبح قطاع الطاقة هو القطاع القائد والموجه لسياسة روسيا الخارجية وهو الدعامة الأساسية للأمن القومي الروسي الذي يضمن استقلالية وقوة القرار السياسي الخارجي [٣٥] .

ومن أجل ذلك فقد حرصت روسيا دائماً على التعاون مع كبار منتجي الطاقة في العالم سواء منتجي النفط أو الغاز مثل دول الخليج العربي وعموم الشرق الاوسط وفنزويلا والتنسيق لتحقيق المصالح المشتركة والحيلولة دون الدخول بمعارك تنافسية للهيمنة على سوق الطاقة العالمي والدخول بوارد لعبة الابتزاز عبر الأسعار أو التحكم بالإنتاج من قبل أطراف معينة الذي من الممكن أن يؤدي الى الوصول الى أدنى سعر لموارد الطاقة ,

ولأجل ذلك وظفت روسيا علاقاتها ببعض المنظمات الدولية والاقليمية المتخصصة للتأثير على سياسة الانتاج والتصدير لمنتجي النفط والغاز الاساسيين في العالم ومن أهمها منتدى الدول المصدرة للغاز ( روسيا ايران قطر ) , ومنظمة الاوبك , ونادي الطاقة التابع لمنظمة شنغهاي للتعاون [٣٦] .

وتعول روسيا كثيراً على التنسيق والتعاون مع المملكة العربية السعودية بأعتبارها أكبر مصدر للنفط في العالم وكبار منتجي الطاقة في الشرق الأوسط بعدّهم صاحبي القول الفصل في سياسات منظمة الأوبك للحفاظ على أسعار مناسبة عبر التحكم بالانتاج ووجهاته انطلاقاً من سياسة الطاقة الروسية القائمة على عقيدة النظر الى منتجي الطاقة كحلفاء وليس كمنافسين في سوق الطاقة [٣٧] . وهذه الجهود تستدعي حواراً بناءً ومستمراً من هذه الدول وهو ماقامت به روسيا فعلاً تجاه أهم المناطق انتاجاً للطاقة في العالم وفي مقدمتها منطقة الشرق الأوسط منذ عام ٢٠٠٥ حينما زار بوتين هذه المنطقة عدة مرات عارضاً وجهة نظر بلده في مجال أسعار الطاقة وتدفقاتها والبرامج الاساسية المتعلقة بتنظيم التجارة بها كجزء من مهمتة الشرق أوسطية التي شملت عدة دول مثل السعودية مصر الامارات ايران تركيا قطر وغيرها .

وفي مجال النقل قامت السياسة الروسية المتعلقة بالطاقة على توفير البنية التحتية اللازمة لتأمين امدادات الطاقة الى الاسواق الدولية ووجهاتها الاخيرة , وقامت هذه البنية على اساس ثلاثة وسائل نقل اساسية أهمها الانابيب المختلفة ذات الوجهات المتعددة ثم الناقلات البحرية المتنوعة وأخيرا الطرق البرية وسكك الحديد التي ينحسر دورها بالتدريج مع مرور الوقت وتطور وسائل النقل الأخرى وفي مقدمتها الأنابيب.

ففيما يتعلق بالانابيب فإن روسيا تمتلك أطول وأضخم شبكة أنابيب بالعالم يبلغ طولها أكثر من ١٥٠ الف كيلومتر تنقل النسبة الأكبر من موارد الطاقة الروسية المعدة للتصدير أو الاستهلاك المحلي [٣٨].

ولهذه الأنابيب وجهات مختلفة فمنها ما يصل الى مناطق مختلفة من دول الاتحاد الأوربي في شرق أوربا والوسطى أو بعض دول شمال أوربا عبر خط أنابيب السيل الشمالي بمراحله المختلفة الذي يوصل الغاز الى شمال أوربا عبر ألمانيا وطولة ١٢٢٤ كم وطاقته ٢٧ مليار متر مكعب سنويا , وخط السيل الجنوبي الذي تم تعليق العمل به لأسباب سياسية تتعلق بمعارضة بلغاريا وبعض دول الاتحاد الاوربي الذي يهدف الى نقل الغاز الى دول جنوب أوربا عبر البحر الاسود بطاقة تبلغ٦٣ مليار متر مكعب سنويا [٣٩]. وقد نجحت روسيا بالتعويض عن تعليق السيل الجنوبي بخط بديل هو السيل التركي المخصص لنقل الغاز الروسي الى جنوب أوربا عبر البحر الأسود مروراً بتركيا نحو دول الاتحاد الأوربي وتوسيع قدرته التمريرية لتبلغ ٦٣ مليار متر مكعب سنوياً يزود تركيا بنسبة ٥٥٪ من احتياجاتها للغاز و٣٠٪ من النفط ويتم تصدير الباقي الى اوربا [٤٠]

أما الاتجاه الآخر لسياسة الطاقة الروسية المتعلق بالنقل عبر الانابيب فهو الانعطافة الكبيرة نحو الاسواق الآسيوية، لا سيما الاسواق الصينية والهندية واليابانية عبر زيادة نسبة التوريد لهذه الاسواق الواعدة وفتح الآفاق المستقبلية للمزيد من التعاون والتنسيق والاستثمار في مجال مشاريع النقل الروسية المعدة لتصدير النفط والغاز الى الأسواق الآسيوية ومن بين هذه المشاريع هي خط أنابيب نفط شرق سيبيريا والمحيط الهادئ ( اسبو )

الذي يلبي نسبة ٦ % من حاجة الصين للنفط المستورد [٤١] وانطلاقا من حاجة الأسواق الصينية للغاز بشكل متزايد يعجز عن تلبية جانب كبير منه عبر الاحتياطات المحلية فقد بات هناك توجه كبير بين روسيا والصين لزيادة التصدير عبر أنابيب جديدة من أهمها خط سيبيريا ١ وخط سيبيريا٢ المسمى بخط التاي [٤٢] . وقد اتخذت روسيا خطوة ذكية في هذا المجال حينما جعلت من الحقول التي تمد خط سيبيريا ٢ هي نفسها التي تحتوي على الغاز المورد الى اوربا مما يجعل البديل جاهز في حال تدهورت العلاقات مع الجانب الغربي ويرفع من مستويات أمن الطاقة الروسية.

أما في مجال النقل البحري فإن روسيا تمتلك واحداً من بين أكبر أساطيل النقل البحري في العالم يحتوي على ما يفوق ١٤٠ سفينة وناقلة ذات حمولات متعددة تتجاوز طاقتها الاجمالية ٦٣٩١ طن [٤٣] وتخطط لزيادة هذه القدرة بشكل كبير كما انها تصدر كميات كبيرة من النفط الى الصين والهند وبعض دول آسيا الوسطى عن طريق الناقلات البرية والصهاريج عبر سكك الحديد .

## المحور الخامس : انعكاس سياسات الطاقة على استعادة الدور الروسي العالمي.

reflections and its repercussions over energy policies for restoring Russia's future global role .

إن استراتيجية روسيا الاتحادية العالمية مع مطلع القرن الواحد والعشرين اختلفت بشكل كبير عن استراتيجيتها في القرن التاسع عشر التي قامت على أساس القوة العسكرية، وعن استراتيجيتها في القرن العشرين التي جعلت من الايديولوجيا عمودها الفقري وبوصلتها حيث استندت هذه الاستراتيجية على ركائز جديدة من اهمها ركيزة الطاقة في ضوء انتقالها من الاستناد على عوامل القوة الصلبة الى العوامل الناعمة مما يعني اقترابها أكثر من الواقعية مستجيبة للتحولات الدولية في مجال ترتيب وأولوية عناصر القوة وأدوات التأثير الدولي وفي ضوء هذه الواقعية الجديدة تم منح الجوانب الاقتصادية وفي مقدمتها قطاع الطاقة دوراً محورياً في ترتيب عناصر وأدوات القوة الجديدة المكلفة باستعادة الدور العالمي لروسيا.

وقد كانت سياسة الطاقة الروسية الذراع الاقوى في تنفيذ الخطط الاستراتيجية الروسية في التحول واكتساب عناصر القوة والتأثير العالمي واستعادة دورها العالمي بعدّها قوة عالمية مصححة, وبالفعل فقد نجحت هذه السياسة واصلاحاتها المختلفة بشكل لافت بالتزامن مع ارتفاع أسعار الطاقة ولاسيما النفط في وضع روسيا الى جانب مجموعة الدول الاقتصادية الكبرى عبر المؤشرات الجديدة التي طرأت على الاقتصاد الروسي منذ عام ٢٠٠١ فما فوق حيث نما الاقتصاد الروسي ولأول مرة بنسبة بلغت ٨ % عام ٢٠٠٨ وهي نسبة لم يسبق للاقتصاد الروسي ان بلغها خلال عشرات السنين [٤٤] , كما انخفضت معدلات البطالة وارتفع متوسط نصيب الفرد من الناتج المحلي الاجمالي من ٧ الاف دولار عام ٢٠٠١ الى ١٥ الف دولار نهاية عام ٢٠١٢ وارتفع الناتج المحلي الاجمالي الروسي من ٣١٠ مليار دولار عام ٢٠٠١ مثلا الى ٢ ترليون دولار عام ٢٠١٣ قبل أن تنخفض أسعار النفط [٤٥] . كما امتلكت روسيا ثالث اكبر احتياطي عالمي حينذاك بعد الصين

واليابان بواقع بلغ ٤٠٤ مليار دولار, فضلا عن تحقيق فائض في الميزان التجاري يتراوح بحدود ١٠٠ مليار في بعض السنوات [٤٦]

وعلى الرغم من التراجع المؤقت لمؤشرات الاقتصاد الروسي بعد تراجع أسعار النفط وما رافقها من عقوبات غربية استهدفت الاقتصاد الروسي وفاعليته إلا أن سياسة الطاقة الروسية لا زالت تعكس قدرة ملموسة في مواجهة هذه العوامل السلبية بقدر جيد من المرونة والكفاءة عبر بدائل في مجال الغاز والشراكات الاستراتيجية مع الدول الاساسية المنتجة للطاقة التي استعادت جزءاً كبيراً من أسعار النفط فضلا عن اصلاحات أخرى .

إن أهمية قطاع الطاقة في استراتيجية استعادة روسيا لدورها العالمي منذ مطلع القرن الحادي والعشرين بقيادة فلادمير بوتن ونتيجة للتطورات العالمية المتلاحقة في مجال الطاقة ودورها الاستراتيجي والجيواقتصادي ولاثبات تزعم روسيا للعام في مجال الطاقة كجزء من تسويق صورتها كقوة عالمية مصححة لطبيعة النظام الدولي السائد والقطبية الدولية دخلت روسيا في وارد تنافس محموم خفي وعلني مع قوى أخرى في مقدمتها الولايات المتحدة للأستحواذ على موارد الطاقة وطرق تصديرها ومنها الاستحواذ على مصادر الطاقة في المحيط المنجمد الشمالي والقارة القطبية لإثباب وفرض عائدية بعض هذه المناطق لروسيا بشكل ادخلها بوارد نزاع قانوني وسياسي مع القوى الكبرى المنافسة.

كما قامت روسيا بالدخول في شراكات او اندماجات ايجابية او استحواذ على الكثير من المشاريع وأنابيب نقل الطاقة في الكثير من مناطق العالم، ومن أهمها في أوربا وآسيا الوسطى والشرق الاوسط سعياً للتحكم في شبكات نقل النفط والغاز العالمية لا سيما تلك التي تمد اوربا بغالبية احتياجاتها من الغاز والنفط بما يؤهل روسيا الى تأدية دور القوة الدولية المهيمنة في هذا المجال [٤٧] .

واستطاعت روسيا أن تحكم قبضتها على الكثير من موارد الطاقة في العالم او التحكم على الاقل بطرق نقلها وحجم تدفقاتها لوجهاتها النهائية، وأن يكون لها موطئ قدم في كل دولة تمتلك مورداً مهماً من موارد الطاقة بما فيها الولايات المتحدة وامريكا اللاتينية وصارت شبكات وخطوط انابيب نقل الطاقة مصدر لقوة روسيا عالميا.

فتأمين روسيا لصادراتها الى الوجهات النهائية لا سيما في دول الاتحاد الاوربي عبر سيطرتها شبه التامة على شبكات النقل بما فيها المنافسة القادمة من آسيا الوسطى حولها الى حلقة السيطرة والتأثير المركزية لممارسة دور الهيمنة التي بدورها تؤدي جانب من الهدف النهائي للقيادة الروسية وهو الوصول لعالم متعدد الاقطاب تكون فيه روسيا أحد اهم اقطابها المستند الى قوة فعلية .

وفي هذا المجال تؤدي اذرع روسيا القوية متمثلة بشركاتها المتخصصة بالطاقة دوراً دبلوماسياً يهدف الى دعم موقف الدولة ومكانتها في المجتمع الدولي من خلال المشاركة الفعالة في المفاوضات والاتفاقيات الدولية وتطوير التعاون مع الدول الحليفة او المنافسة على حد سواء تحت مبدأ تحقيق التوازن في المصالح بين الدول من بوابة الطاقة [٤٨].

ولهذا السلوك الروسي أبعاد سياسية واستراتيجية واضحة من اهمها: زيادة الاعتماد السياسي للدول على موارد الطاقة الروسية واستخدامه كسلاح روسي لتحقيق دور عالمي , السيطرة على توجهات الطاقة العالمية وتحديد أسواقها في المستقبل , تطوير وترسيخ الاحتكارات الروسية في الاقتصاد العالمي [٤٩], إبعاد النفوذ الغربي بكافة اشكالة عن الحدود الروسية او ما يعرف بدول الجوار القريب , الحد من الهيمنة الغربية ولاسيما الأمريكية منها وتقييد العلاقات الامريكية – الاوربية عبر الظغط على الاطراف والمناطق الرخوة المتمثلةً ببعض الدول الاوربية المعتمدة على روسيا والمتخوفة بنفس الوقت منها , وأخيراً زيادة فعالية السياسة الخارجية الروسية في أوربا الشرقية لاستعادة الدور الروسي في مجال الامن الاوربي من جهة والاندماج او قيادة الحضارة الغربية في جانبها السلافي على الاقل باعتبار روسيا اكبر دولة اوربية .

وتأتي مهام توظيف روسيا لقدراتها في مجال صادرات الغاز والنفط الى دول الاتحاد الاوربي في ظل الحرب الدائرة مع اوكرانيا ومن ورائها الداعمون، وفي مقدمتهم الولايات المتحدة والغرب في اطار سعي روسيا لاستخدام الطاقة كوسيلة فعالة في اطار الضغط والمساومة والتفاوض مع القوى الاخرى لتحقيق اهداف السياسة الخارجية الروسية , حيث نجحت روسيا نسبياً في ابتزاز الدول الغربية وترهيبها وتحذيرها من مغبة الاستمرار في معاداة المصالح الروسية من جهة وفي استمالة العديد من القوى الكبرى ومنها الصين والهند او الاقليمية ومنها ايران والسعودية لاتخاذ مواقف أقرب الى الموقف الروسي انطلاقا من تقارب المصالح التي أوجدت الطاقة أرضيتها الصلبة .

وقد أدركت روسيا أن تنويع مصادر الطاقة والتقليل من الاعتماد على الطاقة الروسية بات هدفاً استراتيجيا للولايات المتحدة وبعض حلفائها في اوربا عبر خيارات عدة، من أهمها تطوير مشاريع نقل الطاقة من دول القوقاز وآسيا الوسطى وأهمها أذربيجان وتركمانستان عبر خط باكو – تبليسي – ارضروم أو خط ناباكو أو حتى السعي لنقل الغاز الايراني عبر تركيا او الغاز القطري والنفط السعودي عبر سوريا – تركيا – اوربا وربطه بمشروع ناباكو وقد يكون التدخل و التواجد العسكري الروسي في سوريا جزءاً من عملية منع هذه المخططات الغربية بالقوة عبر السيطرة على الارض والتحالف مع القوى الفاعلة الرئيسة في المنطقة ومن أهمها ايران تركيا او حلفائهم في المنطقة مثل قطر او عبر اقامة علاقات جيدة مع القوى الفاعلة الاخرى مثل السعودية والعراق , فضلاً عن عدم تردد روسيا في ممارسة كافة وسائل الترغيب والترهيب مع دول القوقاز وآسيا الوسطى الراغبة في التعاون مع الغرب على حساب مصالح روسيا واقناعها بعدم الانجرار وراء الخطط الغربية بهذا المجال وإلا ستلاقي مصيراً غامضاً محفوفاً بالمخاطر ولروسيا تجارب في هذا المجال مع جيرانها [٥٠] .

وفي هذا المجال عززت روسيا من حضورها في منطقة الشرق الاوسط عبر سياسات دعم هياكل الدولة والحكومات القائمة ضد التمرد او التدخل الخارجي متحدية بذلك التوجه الغربي الذي يهدف الى تغيير بعض الانظمة [٥١] وبذلك كسبت روسيا ثقة العديد من دول المنطقة وعززت علاقاتها وشراكاتها الاستراتيجية بشكل

قد يجعل منها بديلاً واقعياً عن القوى الغربية في ادارة شؤون المنطقة الاغنى في موارد الطاقة على مستوى العالم بما يعزز ويحمي مصالح روسيا اقتصادياً ويوسع من نفوذها السياسي عالميا .

أما الاتجاه الآخر الذي اتبعته روسيا لتعزيز دورها العالمي عبر الطاقة ولمواجهة الخطط الغربية للوقوف بوجه طموحاتها فهو الانفتاح الكبير باتجاه آسيا وأسواقها الواعدة لا سيما في الصين والهند التي باتت من أكبر الأسواق العالمية [٥٢] , وتمنح روسيا المزيد من المرونة في مواجهة خطط الغرب في محاصرة روسيا من جهة وفي تعزيز العلاقات الروسية الصينية وتحويلها الى علاقات استراتيجية قائمة على أساس شراكة حقيقية وهدف مشترك لتحقيق تعددية دولية ومواجهة رغبات التفرد الامريكي بوسائل قوة حقيقية قائمة على أساس تكامل المصالح والوسائل والأهداف, وقد تكون الشراكة الروسية الصينية في إطار منظمة شنغهاي للتعاون و نجاح سعي روسيا في ادخال الهند الى عضوية المنظمة وتمتع ايران بعضوية مشارك يأتي في إطار تحضير روسيا لعناصر الدور اللازم الذي يمكن أن تؤديه روسيا على الصعيد العالمي عبر الطاقة .

و لا يمكن أخيرا تجاهل دور موارد الطاقة في استعادة روسيا لدورها العالمي عبر توظيف عوائد الطاقة في اسئناف روسيا لجهودها البحثية والتصنيعية لتطوير اجيال جديدة من الاسلحة التقليدية والاستراتيجية لا سيما في مجال الصواريخ البالستية والطائرات المقاتلة والقاذفات الاستراتيجية والغواصات والاسلحة الذكية كالدرونات المتقدمة ومنظومات الاستشعار والمراقبة والسيطرة ومنظومات الدفاع والقتال الجوي وغيرها من الأسلحة التي تتحكم بالعقائد القتالية للجيش الروسي التي تمنحه القدرة والمرونة الكافية للتحرك الاستراتيجي والعملياتي والتكتيكي داخل وخارج الاراضي الروسية لتعزيز القوة والهيبة والمكانة الروسية في المنطقة المحيطة بها لا سيما في القوقاز [٥٣] أو في العالم وحفظ مصالح روسيا الاساسية بشكل يسمح لروسيا وضع خططها الخاصة بالتحول الى قطب منافس عالميا موضع تطبيق .

**وفي ضوء النقاط الأساسية التي تم التطرّق لها في هذا البحث يمكن استخلاص جملة نتائج واستنتاجات أساسية نختم بها دراستنا منها :**

١ – تعد روسيا الاتحادية واحدة من بين أهم دول العالم في مجال الطاقة وهي الى جانب السعودية فقط من تمتلكان القدرة على التحكم المحوري بالأسواق الدولية بهذا القطاع .

٢– تعتمد روسيا الاتحادية على واردات الطاقة لا سيما النفط والغاز بشكل يكاد يكون حاسماً .

٣ – استناداً الى الاعتماد الروسي الكبير على موارد الطاقة أصبح قطاع الطاقة قطاعاً قائداً في أولويات القطاعات الوطنية .

٤ – الاعتمادية الروسية على قطاع الطاقة جعلت منه قضية أمن قومي لا يمكن التهاون في تأمينها تحت أي ظرف كان .

٥ – تحول قطاع الطاقة الى قضية أمن قومي دفع روسيا الى الاستعداد الدائم للدخول في حالة من الصراع أو التنافس الدولي من جهة أو التعاون والتحالف من جهة اخرى مع القوى الاخرى استناداً الى بوصلة الطاقة.

٦ – منح قطاع الطاقة روسيا عناصر قوة بالغة الاهمية للتحرك الفعال والنشط داخليا وخارجيا على شتى المجالات .

٧ – أدركت روسيا وقيادتها القوية متمثلة بفلادمير بوتن أهمية هذا القطاع في استراتيجيتها الخاصة بتحقيق هدف استعادة دور روسيا العالمي .

٨ – وضعت روسيا استناداً الى هذا الادراك الاستراتيجي سياسة خاصة بالطاقة تضع في حساباتها تحقيق هذا الهدف.

٩ – أدركت القوى الدولية الاخرى وفي مقدمتها الولايات المتحدة خطورة دور قطاع الطاقة في مهمة استعادة روسيا لدورها العالمي فصاغت خطط خاصة بمواجهة الانبعاث الروسي المستند الى الطاقة.

١٠ – أبدت روسيا قدرة لافتة في التغلب على الخطط المعادية لها في مجال الطاقة على الصعيد الدولي وتخطيها عبر سياسة طاقة ناجحة وشاملة .

١١ – تحولت سياسة الطاقة الروسية الى فرصة حقيقية لاستعادة الدور الروسي العالمي عبر توجهين استراتيجيين أساسيين الأول يقوم على توظيف الطاقة في مجال كسب الحلفاء والشركاء والاصدقاء وزيادة وتيرة التعاون الدولي والثاني عبر ردع الاعداء والمنافسين عبر زيادة القدرة على إدارة الصراع والتنافس وفرض المكانة الدولية والضغط على المنافسين وحماية المصالح الحيوية .

١٢ – نجحت سياسة روسيا في مجال الطاقة في تعزيز دورها العالمي من خلال توظيف ميدان الطاقة في تعزيز علاقات روسيا الاستراتيجية مع القوى الدولية كالصين والهند من جهة واختراق صفوف العالم الغربي من جهة ثانية والتقارب مع حلفاء الولايات المتحدة التقليديين بشكل يهدد شراكات الغرب مع هؤلاء الحلفاء لمصلحة روسيا من جهة ثالثة .

## المصادر والمراجع:


[1] – Demirel . Y Chapter Energy and Energy Tapes – springier . www Springer ٢٠١٨ p2 -4

[٢] سعود يوسف عياش , تكنولوجيا الطاقة البديلة , ط١ , سلسلة عالم المعرفة , الكويت ١٩٨١ , ص ١٢

[٣] – مديحة حسن , اقتصاديات الطاقة في العالم وموقف دول البترول العربي منها , الطبعة الاولى , دار الجميل, بيروت , ١٩٩٢ , ص ٣

[٤] – لودوفيك مون , الطاقة النفطية والطاقة النووية الحاضر والمستقبل , ترجمة مارك عبود , الطبعة الاولى , المجلة العربية , الرياض , ٢٠١٧ , ص ٥

[٥] – نجلاء عبد الوهاب احمد , مستقبل النفط العربي في ضل المتغيرات العالمية , اطروحة دكتوراه غير منشورة , كلية العلوم السياسية – الجامعة المستنصرية , بغداد ٢٠٠٥ , ص ٥٦

[٦] – اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي اسيا , بناء القدرات في تنظيم الطاقة المستدامة نهج التخفيف من الفقر وادماج قضايا النوع الاجتماعي ضمن الاهتمامات الرئيسة . الجزأ الاول , الطاقة لاغراض التنمية المستدامة في دول الاسكوا , ص ٣٣

[7] – Types of Energy Resources for Descriptions and Background information ,٢٠١٩ , www . Springer. Com pp 23 – 35

[٨] – عبد المطلب النقرش , الطاقة مفاهيمها انواعها مصادرها , بحث مقدم الى مديرية التخطيط , وزارة التخطيط والثروة المعدنية , عمان الاردن , ٢٠٠٥ ص ٧

[٩] – – نجلاء عبد الوهاب احمد , مستقبل النفط العربي في ضل المتغيرات العالمية , مصدر سبق ذكره ص ٦٣

[10] OPEC : Organization the Petroleum Exporting Countries , Annual Statistical Bulletin, ٢٠١٩ , p 22

[١١] – أدم , سيمينسكي , أفاق الطاقة في العالم في ( الامن والطاقة نحو استراتيجية سياسة خارجية جديدة ) تحرير جان هكاليكي ترجمة حسام الدين خضور , ط١ , الهيئة السورية العامة للكتاب, دمشق , ٢٠١١ , ص ٦٥ .

[١٢] – هشام الخطيب , امن الطاقة العالمي وانعكاساته على منطقة الخليج , التحديات والافاق . الطبعة الاولى , مركز الامارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية , ابو ظبي , ٢٠١٠ ص ٤٤

[13] – World coal Institute , the coal resource , A Comprehensive over view of coal, world coal Institute ,LONDON Cambridge House , ٢٠١٤ , p – 3

[١٤] – هشام الخطيب , امن الطاقة العالمي وانعكاساته على منطقة الخليج ( أمن الطاقة في الخليج : التحديات والافاق ) , الطبعة الاولى , مركز الامارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية , ابو ظبي , ٢٠١٠ ص٤٤

[15] – World energy Outlook ( 2015 ) International Energy Agency secure Sustainable Together ( Arabic translation. www.iea .org p 8

[١٦] – حسين علي الرماح , امن الطاقة في السياسة الروسية بعد عام ٢٠١٣ , الطبعة الاولى , بغداد , ٢٠١٦ , ص ٣

[١٧] – حسين علي عبد الباقي , التعاون التركي – الروسي في مجال الطاقة : السيل التركي انموذجا, بحث ترقية الى وزير مفوض , معهد الخدمة الخارجية , وزارة الخارجية , العراق , ٢٠١٨ , ص ٣٦

[18]– OPEC , World Proven natural Gas reserves by country , 2016 , p 100 .

[19] – BP, World Proven natural Gas reserves by country , 201٧ , p 26.

[20] – British Petroleum , Statistical Review of World Energy , June , 2017 , P 23

[٢١] – هدى مهدي , المجال الحيوي لروسيا الاتحادية في اطار دورها الاقليمي , رسالة ماجستير غير منشورة , كلية العلوم السياسية – الجامعة المستنصرية , ٢٠١٤ , ص ٦٢ .

[٢٢] – سهيل فرج , الجيوبولتيك الروسي , مجلة شؤون الاوسط , العدد ١١٣ , بيروت , ٢٠٠٣ , ص ٢٧

[23] – Matteo Verda , Russian oil and gas sector : political and economic prospects , Italian institute for international political studies , analysis , no 147 , Milano 201٥ , p 9

[24] – British Petroleum, statistical Review of World Energy, 201٩ www. Bp .com, P 29

[25] – OPEC , World Proven natural Gas reserves by country , 201٩ , p 134

[٢٦] – نزار الحيالي وعبد الحميد الموساوي , العلاقات الروسية الامريكية من الشراكة الاستراتيجية الى المنافسة الجيوسياسية , مجلة قضايا سياسية , العدد ١٦ , مركز الدراسات الدولية والاستراتيجية , جامعة بغداد , ٢٠٠٩ ص ٤٢

[٢٧] – اسماء حداد , الرهانات الروسية الطاقوية وتاثيرها على مكانتها الجيوسياسية , المركز الديمقراطي العربي للدراسات الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية , برلين , ٢٠١٧ , ص ٥

[٢٨] – حسين علي , التعاون التركي – الروسي في مجال الطاقة , بحث مقدم للترقية الى درجة وزير مفوض , وزارة الخارجية العراقية, بغداد , ٢٠١٨ , ص ٨١

[٢٩] – خديجة عرفة , أمن الطاقة وأثاره الاستراتيجية , ط١ , جامعة نايف العربية للعلوم الامنية , الرياض , ٢٠١٤ , ص ٢٣

[30] – Energy strategy of Russia for the period up to 2030 , ministry of energy of the Russia federation , approved by Degree N 1715 – r of the Government of the Russian federation Moscow , 201٩ , pp 10 – 11

[٣١] – خديجة عرفة , امن الطاقة واثاره الاستراتيجية , مصدر سبق ذكره , ص ١٨٧ – ١٩٨

[٣٢] – معتز سلامة , تحركات مدروسة طريق روسيا للعودة الى مسرح السياسة العالمية , مجلة السياسة الدولية , العدد ١٩٥ , مركز الاهرام , القاهرة , ٢٠١٤ ص ٨٢

[33] – Matteo Verda , Russian oil and gas sector ; political and economic prospects , Italian institute for international political studies , analysis , no 147 , Milano , 201٦ , pp 9

[٣٤] – محمد عبدالله الشفيع , التكتلات الاقتصادية الدولية تجمع بريكس نموذجا , مجلة السياسة الدولية , مؤسسة الاهرام , القاهرة , ٢٠١٥ , ص ١١٥

[٣٥] – نورهان الشيخ , هل ستصبح الطاقة سلاح روسيا لاستعادة المكانة الدولية , مجلة السياسة الدولية العدد ١٩٦ , مركز الاهرام , القاهرة , ٢٠١٤ , ص ٢٣

[36] – Nikolay Kozhanov , Russian Energy strategy Makes Partners of Rivals , the Washington institute for Near East Policy ,U S A 201٥ , P 1-3

[٣٧] – بسمة ماجد , استراتيجيات روسيا لتوظيف الغاز الطبيعي للتأهل الى منزلة القوة العظمى , مجلة افاق سياسية , العدد ٦ , القاهرة , ٢٠١٤ ص ٣٣

[٣٨] – – نورهان الشيخ , هل ستصبح الطاقة سلاح روسيا لاستعادة المكانة الدولية . مصدر سبق ذكرة , ص ٢٣

[٣٩] – سليم حداد , منطقة بحر قزوين واهميتها الاستراتيجية , ط١ , دار المساعدة للتأليف والنشر , بيروت , ٢٠٠٣ , ص ٤٥

[٤٠] – قاسم حسين الربيعي , روسيا وتركيا المصالح المعقدة وصراع النفوذ , مجلة ابحاث استراتيجية , العدد١٢ , مركز بلادي , بغداد , ٢٠١٦ , ص٧٦

[41]– Nandan unnikrishnan trends in Russia – china relations Implications for India , observer research foundation . Delhi 2015 , pp 33

[٤٢] – رسل ياسين مزعل , العلاقات الروسية الصينية بعد عام ٢٠١١ وافاقها المستقبلية , اطروحة دكتوراه , كلية العلوم السياسية – جامعة بغداد , ٢٠١٨ , ص ١٩٤

[٤٣] – نور محمد ربيع , روسيا الاتحادية والسعي لاثبات الدور اقليميا ودوليا , مصدر سبق ذكره , ص١١٦

[٤٤] – معتز سلامة , , تحركات مدروسة طريق روسيا للعودة الى مسرح السياسة العالمية, مصدر سبق ذكره , ص ٨٢

[٤٥] – تقرير التنمية البشرية لعام ٢٠١٣ , برنامج الامم المتحدة الانمائي , نيويورك , ٢٠١٣ , ص ١٩٦

[٤٦] – ناصر زيدان , دور روسيا في الشرق الاوسط وشمال افريقيا من بطرس الاكبر حتى فلادمير بوتن , ط١ , الدار العربية للعلوم ناشرون , بيروت , ٢٠١٣ ص ١٩١

[٤٧] – بسمة ماجد حمزة , استراتيجيات روسيا لتوظيف الغاز الطبيعي للتأهل الى منزلة القوة العظمى , مصدر سبق ذكره ص ٢٥

[٤٨] – خديجة عرفة , أمن الطاقة والسياسة الخارجية , مصدر سبق ذكره ص١٤٨

[٤٩] – انظر في هذا المجال كل من طالب حسين , سياسة الطاقة الروسية تجاه دول الجوار , مجلة قضايا سياسية , العدد ٥٤ , مركز الدراسات الدولية والاستراتيجية , جامعة بغداد , ٢٠٠٩ , ص ١١ وكذلك خيجة عرفة , مصدر سبق ذكره ص ١٤١

[٥٠] – جيفري مانكوف , أمن الطاقة الاوراسية , ط١ , مركز الامارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية , ابو ظبي , ٢٠١٠ ص ٣٠

[٥١] – موسى مهدي , بوتن يسعى لانقلاب عالمي في سوق النفط والغاز , مركز الروابط للدراسات الاستراتيجية والسياسية , بغداد , ٢٠١٦ , ص ١–٤

[٥٢] – السيد امين شلبي , تجديد العلاقات المصرية – الروسية , مجلة السياسة الدولية , العدد ٢٠٠ , مركز الاهرام , القاهرة , ٢٠١٥ ص ١٥٣

[٥٣] – سعد عبيد السعيدي , تداعيات الازمة الروسية – الجورجية على العلاقات الروسية – الامريكية , مجلة دراسات دولية , العدد ٤٢ , مركز الدراسات الدولية والاستراتيجية – جامعة بغداد , ٢٠١٠ , ص ٦٣